جمعية دار البر
Dar Al Ber Society
United Arab Emirates الإمارات العربية المتحدة

الاستغفار

تأليف
الدكتور/ عزيز بن فرحان العنزي

الاستغفار

تأليف

الدكتور/ عزيز بن فرحان العنزي

جمعية دار البر
Dar Al Ber Society
United Arab Emirates الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

رقم التصريح: ٢٠١٢/٩٣٧م

دائرة الشؤون الإسلامية

إدارة التوجيه و الإرشاد / قسم الإرشاد الديني

جمعية دار البر

Dar Al Ber Society

الإمارات العربية المتحدة - دبي ص.ب ٥٧٣٢

هاتف: ٠٠٩٧١٤٣١٨٥٠٠٠

فاكس: ٠٠٩٧١٤٣٣٠٦٣٣٦

daralber@emirates.net.ae

www.daralber.ae

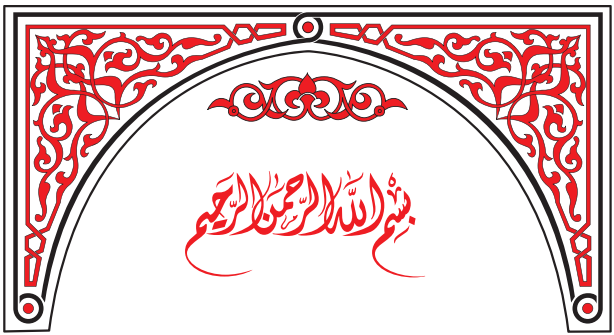

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣)

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب ،الآيات ٧٠-٧١ .

أما بعد..

فإن الاستغفار هو بداية العبد ونهايته، وأول منازل العبودية، وأوسطها، وآخرها؛ ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار؛ كما قال الله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ

(١) هود: ١، ٢، ٣.

يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[1]

فانظر كيف قرن الله تعالى بين الإيمان والاستغفار في هذه الآية التي خاطب بها كفار مكة، والذين منعهم من الإيمان ونبذ الشرك، ومن الاستغفار مما سلف من ذنوبهم، إلا تقدير الله إتيانهم ما جرت به سنته في الأمم المكذبة السابقة من الهلاك الدنيوي، أو العذاب الأخروي، أو إرادته سبحانه وتعالى ذلك بناء على علمه السابق من سوء حالهم، وخبث نفوسهم.

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الرجل مسلماً علمه أن يقول: "اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني"[2]

(١) الكهف: ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه (٢٦٩٧).

والعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكرٍ، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكلاهما من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فلو نظرت في جنس الإنسان لرأيت أنه لا يزال يتقلب في نعم الله تعالى التي لا تحصى، ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغفار لكونه خطَّاءً، وخير الخطائين التوابون.

فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم"[1].

وفي الحديث القدسي: يقول الله تبارك وتعالى: ".. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

جميعاً فاستغفروني أغفر لكم"[1] فهذا دليل على: أن الأصل في جنس الإنسان الوقوع في الخطيئة والذنب، وأنه مأمور بالتوبة والاستغفار لمحو الذنب والخطيئة.

قال ابن رجب -رحمه الله-: " .. هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يُحْرَمُهُما في الدنيا، ومن لم يتفضل عليه بمغفرة ذنوبه أو بقتهُ خطاياه في الآخرة"[2]

ومن فضله سبحانه، وعظيم كرمه، وكبير منته: أن سهّل على عباده الخروج من الذنب، فليس في شريعتنا ذنب إذا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٣٧-٣٨.

فعله الإنسان لا يمكن الخروج منه إلا بمشقة عظيمة، أو حرج شديد، بل إن الأمر يسير لمن يسره الله عليه، فالله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه يفرح بتوبة عبده وأوبته ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1] فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ولقد يسر الله تعالى أمر الاستغفار للعباد، فمبقدور كل عبد الإتيان به في جميع أحواله وأوقاته: في ليله ونهاره، وفي خلوته وجلوته، وفي صحته ومرضه، وفي ظعنه وإقامته، وفي قيامه وقعوده، وهو طاهر ومحدث، لا عذر للمرء في التكاسل عنه بوجه من الوجوه.

والمتأمل في باب الاستغفار: يجده متشعباً وواسعاً، لا

(١) آل عمران: ١٣٥.

يقتصر الإتيان به على التخلص من تبعة الذنب فقط، بل إنه يدخل في كثير من العبادات، والأعمال، والتروك، وله أحكام كثيرة، يغفل عنها الكثير، وهذا ما سأوضح بعضه في هذه الرسالة المختصرة، بتوفيق الله تعالى.

والله أسأل أن ينفع بها، وأن يدخرها لي، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكتب

الدكتور/ عزيز بن فرحان العنزي

فصل

تعريف الاستغفار

الاستغفار: هو طلب المغفرة من الله تعالى، والتجاوز عن الذنب، وعدم المؤاخذة به، إما بترك التوبيخ والعقاب رأساً، أو بعد التقرير[1] به فيما بين العبد وربه.

وطلب المغفرة: قد يكون بالقول والفعل؛ فإن المغفرة هي: وقاية شر الذنب، ومن أهل العلم من يقول: إن الاستغفار من الغفر، والغفر هو: الستر، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفار، لما فيه من معنى، يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

(١) التقرير: أن يوقف الله تعالى عبده على الذنب، فيقر العبد به، أو بجوارحه.
(٢) التغابن: ١٤.

ومعنى ﴿تَغْفِرُوا﴾، أي: تستروا عيوبهم، وتمهدوا لهم في الاعتذار.

ويأتي الاستغفار في القرآن على معانٍ عديدة:

- فيأتي بمعنى الإسلام، عند فريق من أهل العلم بالتفسير؛ كمجاهد وعكرمة، واستدلوا لذلك بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1] أي: يُسلمون.
- ويأتي الاستغفار بمعنى الدعاء عند فريق آخر، فكل دعاء فيه سؤال الغفران فهو استغفار، إلا أن بين الاستغفار والدعاء عموماً وخصوصاً من وجه، فيجتمعان في طلب المغفرة، وينفرد الاستغفار إن كان

(١) الأنفال: ٣٣.

بالفعل لا بالقول، كما ينفرد الدعاء إن كان بطلب غير المغفرة.

- ويأتي الاستغفار بمعنى التوبة، وهاهنا يلتبس الأمر على كثير من الناس، فيظنون أن الاستغفار هو: التوبة، والتوبة هي: الاستغفار، وبتتبع النصوص يظهر أن بين التوبة والاستغفار عموماً وخصوصاً من وجه، فإذا تفرقا اجتمعا، وإذا اجتمعا تفرقا، فعند الإطلاق يدخل كل منهما في مسمى الآخر، وعند اقترانهما، يكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة، الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

قال ابن القيم -رحمه الله- :"وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح عليه

السلام، لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[1].

وقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4].

والمقرون؛ كقوله تعالى:﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[5].

(١) نوح: ١٠.
(٢) النمل: ٤٦.
(٣) البقرة: ١٩٩.
(٤) الأنفال: ٣٣.
(٥) هود: ٣.

وقول هود لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[1].

وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[2]

وقول شعيب لقومه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[3] فالاستغفار المفرد، كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه: طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس، أنها: الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما: بالتضمن، وإما باللزوم، وحقيقتها: وقاية شر

(١) هود: ٥٢.

(٢) هود: ٦١.

(٣) هود: ٩٠.

الذنب، ومنه المغفر لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفراً، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفرة من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإن الله لا يعذب مستغفراً، أما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان: ذنب قد

مضى فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله.

والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه، وسيئات أعماله.

وأيضاً: فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقاً تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه، فها هنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين؛ ولهذا جاء -والله أعلم- الأمر

بهما مرتباً بقوله: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ فإنه الرجوع إلى طريق الحق، بعد مفارقة الباطل، وأيضاً: فالاستغفار: من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب. والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم.[1]

(١) مدارج السالكين ٣٠٧/١ ، ٣٠٨.

فصل

حكم الاستغفار

الاستغفار: عبادة من العبادات الجليلة، والقرب العظيمة، سواء استغفر المرء لنفسه، أو استغفر لغيره.

والأصل: أنه مندوب إليه، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] والأمر هنا يحمل على الندب، لأنه قد يكون من غير معصية، فيستغفر المرء لنفسه، ولوالديه، ولذريته، ولإخوانه الذين سبقوه بالإيمان، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

لكن الاستغفار قد يخرج عن الندب إلى الوجوب،

(١) المزمل: ٢٠.

كالاستغفار من المعصية بعد الوقوع فيها، وكالاستغفار لمن اغتابه على الصحيح.[1]

وقد يخرج إلى الكراهة، وذكر بعض أهل العلم لذلك مثالاً، كالاستغفار للميت خلف الجنازة؛ لأنه توظيف لهذه العبادة في غير مكانها المشروع، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستغفر خلف الجنازة، ولا عن أحد من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما الاستغفار للميت يكون أثناء الصلاة وبعد الدفن كما سيمر معنا.

وقد يخرج إلى الحرمة، كالاستغفار للكفار، ولو كانوا أولي قربى؛ للنهي الصريح الوارد في كتاب الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) انظر مدارج السالكين ٣٩١/١.

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[1]

وقال في حق المنافقين: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[2]

فالاستغفار لا ينفعهم شيئاً، وذلك لفداحة ما هم عليه من الاعتقاد الفاسد المبطن، ولإيغالهم في الكفر، وإنهماكهم في الفسق والقبائح، فاستحقوا هذا الجزاء الخطير قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[3].

(١) التوبة: ١١٣ - ١١٤.
(٢) المنافقون: ٦.
(٣) النساء: ١٤٥.

فصل

حاجة العبد إلى الاستغفار

للاستغفار شأن عظيم، ومنزلة كبيرة، ومكانة سامية، ويكفي لبيان شأنه: مواظبة الأنبياء عليه، ودعوة أقوامهم إليه، وثناء الله تعالى على الملتبسين به، واللاهجين به في الأسحار، والعبد بالنسبة إلى ربه - عز وجل- فقير إليه فقر ذات، وفقر صفات، واحتياجه إلى ربه -عز وجل- أمر ذاتي لا ينفك عن العبد في كل لحظة، وفي كل حركة وسَكَنة؛ ولذلك يتفاوت الناس في إدراك هذا الأمر، ولما كان الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- أعرف الناس بالله كانوا أكثرهم خشية، وإنابة له، وأشدهم تمسكاً

بهذا الاستغفار، وهكذا العلماء يأتون في المرتبة الثانية بعد الأنبياء في حيازة الخشية والإنابة؛ لأن من كان بالله أعرف كان له أخوف، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1] ولذلك نجد أهل العلم في غالب أحوالهم على هذا المسلك من الاستمساك بالاستغفار، وكذلك وصاياهم به لا تكاد تغيب عن منهجهم في التعليم والتوجيه، فهم يُرّغِبُون الناس في المحافظة على الاستغفار؛ لما يعلمون ما فيه من السلامة والعصمة، ومحق الذنوب، وتيسير الأمور للعبد.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -رحمه الله تعالى- مبيناً حاجة العبد إلى الاستغفار: "الاستغفار يُخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص

(١) فاطر: ٢٨.

إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله، والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة، يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية، والبدنية اليقينية الإيمانية. وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم،

ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم، فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله، دقه وجُلهُ، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء: قول: "لا إله إلا الله" وأبلغ الدعاء قول: "استغفر الله". فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين..

وقال: التوبة من أعظم الحسنات، والحسنات كلها مشروط فيها: الإخلاص لله، وموافقة أمره باتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه، أو تقلب قلب، فعليه بالتوحيد والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص، وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة، والأهل والأولاد، والجيران، والإخوان، فعليه بالدعاء لهم والاستغفار؛ قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم: " إن لي لسناً ذرباً على أهلي. فقال له: " أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة "[1].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٦ - ٦٨٩) قلت: والحديث رواه أحمد والنسائي والدارمي والبيهقي والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسانيد لا يخلو كل واحد منها من مقال، وله شواهد في الصحيحين.

فصل

فضل الاستغفار

ورد في فضل الاستغفار نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، كلها تشير إلى أهمية الاستغفار، وفضله، وكثرة خيره وبركته، وكبير عوائده وفوائده، على المستغفر والمُسْتَغْفَرِ له، وقد تنوعت دلالات نصوص القرآن والسنة في ذلك ما بين أمر به، وإرشاد إليه، وحكاية ما عليه حال الأنبياء -عليهم السلام- من التمسك به، كل ذلك لبيان فضله، ولكونه عبادة محببة إلى الله تعالى، فمما يدل على فضل الاستغفار:

أولاً: ثناء الله تعالى على المستغفرين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2] والأسحار: جمع سَحَر، وهو: من ثلث الليل الأخير، وتخصيص السحر بالاستغفار، لأن الدعاء فيه أقرب إلى الإجابة؛ إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والرب تعالى ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته إلى سماء الدنيا، ويقول: "هل من مستغفر فاغفر له"[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه، والتقرب، والرقة

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) الذاريات: ١٨.

(٣) حديث قدسي أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا وقوله هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟"[1].

ولذلك لما طلب أبناء يعقوب، عليه السلام، من أبيهم أن يستغفر لهم، أجّلَهُم إلى السحر، وقال ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[2] قاله ابن مسعود والنخعي، وعمرو بن قيس، وابن جريج وغيرهم.[3]

وهكذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[4] قيل: إنه أخَّر الاستغفار له إلى السحر.

(١) مجموع الفتاوى ١٣٠/٥ - ١٣١.
(٢) يوسف: ٩٨.
(٣) تفسير ابن كثير (٥١٥/٤).
(٤) مريم: ٤٧.

ثانياً: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم للاستغفار[1].

ومما يدل على فضله، وكثرة خيره، وبركته: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم له، والرسول صلى الله عليه

---

(١) وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم، وكذا باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعلوم أن الاستغفار يستدعي وقوع معصية فأجاب أهل العلم بأجوبة حاصلها:

١. هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر، والراجح عدم عصمتهم من الصغائر التي لا تخل بالمروءة ولا تقدح في صدق الرسالة.

٢. الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، فيكون استغفارهم من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى.

٣. قيل: إن النبي عليه الصلاة والسلام يقوم بأعمال كثيرة تحجبه عن ذكر الله تعالى من أكل وشرب أو جماع أو نوم أو راحة أو مخاطبة الناس، والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم ومداراته الأخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك فيرى ذلك ذنباً ينبغي أن يستغفر الله تعالى منه.

٤. قيل: إن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهـم. قلت: والأجوبة التي ذكرها أهل العلم كثيرة، وأحسنها الجواب الثاني، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما رأته يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وسلم لا يفعل إلا الأفضل من العمل، فضلاً عن الملازمة التامة له، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على الاستغفار، حتى كان شعاراً ظاهراً له، وقد جاءت نصوص كثيرة بهذا.

فمن ذلك:

عن الأغر المزني، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ليغان[1] على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة"[2].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه

(١) قال ابن حجر: قال عياض: المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك ذنباً فاستغفر منه. وقيل هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لإظهار العبودية معه والشكر لما أولاه» فتح الباري ١٥٨/١٤.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٠/٤) ومسلم (٢٧٠٢) وأبو داود (١٥١٥).

في اليوم أكثر من سبعين مرة"[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة قول: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم"[2].

ثالثاً: أن الاستغفار هو شعار الأنبياء جميعاً، عليهم الصلاة والسلام.

فما من نبي إلا استغفر ربه تعالى، ودعا أمته إلى الاستغفار، قال الله تعالى على لسان آدم وحواء - عليهما السلام- وهما يستغفران الله من الخطيئة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]، وقال تعالى على لسان موسى -عليه

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).
(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٦) والترمذي (٣٤٣٠) وقال حديث صحيح.
(٣) الأعراف: ٢٣.

السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وقال تعالى عن داوود عليه السلام: ﴿... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[2] وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام وهو يعظ قومه: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾[3]، وقال تعالى على لسان صالح، عليه السلام، وهو يعظ ثموداً: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4]، وفي آية أخرى ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[5].

(١) القصص: ١٦.
(٢) ص: ٢٤.
(٣) نوح: ١٠-١١.
(٤) النمل: ٤٦.
(٥) هود: ٦١.

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام وهو يعظ قومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[1]، وقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[2] والنصوص في هذا الأمر كثيرة جداً، مما يدل على عظيم مقام الاستغفار.

رابعاً: أن الاستغفار: أساس العبودية وروحها.

لأن المستغفر إنما يُظهر كمال ذلة، وافتقاره، وخضوعه بين يدي مولاه، لعلمه أنه وحده الخالق والمتفرد، والمستحق للعبادة، وأنه بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وأنه

(١) هود: ٥٢.

(٢) هود: ٩٠.

لا يغفر الذنوب إلا هو، ولا يقيل العثرات، ويغفر الزلات، ويتجاوز عن الخطيئات إلا هو، فهنا لا يتوكل العبد إلا عليه، ولا يرجو أحداً سواه، ولا يسأل غيره، ولا يستعين إلا به، فهاجسه الذي يقلقه على الدوام: طلب رضى الله وعفوه، فهو في كل لحظة يستشعر افتقاره إلى ربه، وحاجته إليه، ومن يحمل مثل هذا الأمر يكون قد نجى -بإذن الله تعالى- من الأمن من مكر الله، ومن القنوط من رحمته، لأن غير المستغفر أحد رجلين: إما أنه آمن من مكر الله، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1] وإما أنه قانط من رحمة الله، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[2]

(١) الأعراف: ٩٩.

(٢) الحجر: ٥٦.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "أساس كل خير: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات، وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان: أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير، فأصله: التوفيق، وهو: بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه: الدعاء، والافتقار، وصدق اللجأ، والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح، فقد أراد

أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجاً دونه. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وعلى قدر نية العبد، وهمته، ومراده، ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم، وثباتهم، ورغبتهم، ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم، وما أُتي من أُتي إلا من قبل إضاعته الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر

بمشيئة الله وعونه، إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء...).[1]

خامساً: أن في الاستغفار مصالح قد لا يدركها العبد.

قال ابن القيم -رحمه الله- وهو يتحدث عن فوائد التضرع إلى الله تعالى، ومشاهدة الذنب: "ومنها: إن الله -سبحانه- إذا أراد بعبده خيراً أنساه رؤية طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بالذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعاته، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه إن قام أو قعد أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب

(١) الفوائد: ١٢٧ - ١٢٨.

عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرع، وأناب إلى الله، وذل له وانكسر، وعمل لها أعمالاً، فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه، يمن بها، ويراها يعتدّها على ربه، وعلى الخلق، ويتكبر بها، ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه، ويكرمونه، ويجلونه عليها؟! فلا تزال هذه الأمور به، حتى تقوى عليه آثارها، فتدخله النار، فعلامة السعادة: أن تكون حسنات العبد خلف ظهره، وسيئاته نصب عينيه، وعلامة الشقاوة: أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره، والله المستعان.

ومنها: أن شهود العبد ذنوبه وخطاياه توجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقاً، فإنه يشهد

عيوب نفسه وذنوبه، فلا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله، فإذا شهد ذلك من نفسه، لم يَرَ لَهَا على الناس حقوقاً من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمهم على ترك القيام بها، فإنها عنده أخس قدراً، وأقل قيمة من أن يكون لها على عباد الله حقوق، يجب عليهم مراعاتها، أو له -عليهم- فضل يستحق أن يكرم، ويعظم، ويقدم لأجله، فيرى أن من سلم عليه، أو لقيه بوجه منبسط فقد أحسن إليه، وبذلك له ما لا يستحقه، فاستراح هذا في نفسه، وأراح الناس من شكايته، وغضبه على الوجود وأهله، فما أطيب عيشه، وما أنعم باله، وما أقر عينه، وأين هذا ممن لا يزال عاتباً على الخلق، شاكياً ترك قيامهم بحقه، ساخطاً

عليهم، وهم عليه أسخط..

ومنها: أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس، والفكر فيها؛ فإنه في شغل بعيب نفسه، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه، وتفرغ لعيوب الناس، هذا من علامة الشقاوة، كما أن الأول من أمارات السعادة.

ومنها: أنه إذا وقع في الذنب شهد نفسه مثل إخوانه الخطائين، وشهد أن المصيبة واحدة، والجميع مشتركون في الحاجة، بل في الضرورة إلى مغفرة الله وعفوه ورحمته، فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم، كذلك هو أيضاً ينبغي أن يستغفر لأخيه المسلم، فيصير هجيراه: رب اغفر لي، ولوالدي، وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات.

فإذا شهد العبد أن اخوانه مصابون بمثل ما أصيب به، محتاجون إلى ما هو محتاج إليه، لم يمتنع من مساعدتهم، إلا لفرط جهل بمغفرة الله وفضله، وحقيق بهذا أن لا يساعد؛ فإن الجزاء من جنس العمل، وقد قال بعض السلف: إن الله لما عتب على الملائكة بسبب قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وامتحن هاروت وماروت بما امتحنهما به، جعلت الملائكة بعد ذلك تستغفر لبني آدم، وتدعو الله لهم.[1]

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٩.

فصل

ما هو الاستغفار المطلوب

مَرَّ معنا: أن الاستغفار عبادة من أجل العبادات، وأن فضله عظيم، وعوائده كثيرة، وخيراته على العبد متوالية، في الدنيا والآخرة، وقد ذكرنا ما عليه حال الأنبياء من الاستغفار، وسيمر معنا بيان آثاره في فصل مستقل، لكن السؤال الذي نطرحه في هذا الفصل: ما هو الاستغفار المطلوب من العبد الاتيان به؟ والذي به يستنزلُ المستغفر عطف الله ورحمته، ويكون مقبولاً بإذن الله -تعالى- رب العالمين؟!!

هاهنا قاعدة عند أهل السنة والجماعة يذكرونها دائماً في شروط قبول العمل، أذكرها قبل الحديث عن

الاستغفار المطلوب، وهو أن العبادة لا تقبل إلا بشرطين أساسين:

الأول: أن يكون العمل خالصاً لله تعالى.

والثاني: أن يكون صواباً على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويُطَرِّدون هذين الشرطين في جميع العبادات، وقد يضيفون لبعض العبادات شروطاً أُخر لافتقارها إليها، والبعض يسميها: أركاناً والبعض يسميها: شروطاً، وهذه في الحقيقة راجعة إلى جنس العبادة المأمور بها، وما ورد بخصوصها من نصوص تضاف إلى شرطي قبول العمل، فالاستغفار، مثلاً الذي نحن بصدده: عبادة من العبادات اشترط فيه حتى يكون مقبولاً: أن يكون خالصاً لله تعالى، لا يبتغي به صاحبه أحداً سوى الله تعالى، وأن

يكون مشروعاً ليس فيه ألفاظاً شركية: كطلب المغفرة من المقبورين، أو بدعية: كتوظيفه في وقت محدد، غير مشروع في أصل السنة، أو محرمة: كقول: اللهم اغفر لي إن شئت.

وأيضاً يذكرُ كثير من أهل العلم: أن من شروطه: أن يكون التلفظ باللسان لهذا الاستغفار، مصحوباً معناه في القلب، وأن يتذكر الذنب المستغفر منه في الحال، إن كان ثمة ذنب، وذلك لتتحقق له نتائج الاستغفار وثمراته، لقوله تعالى: ﴿... فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾[1]، أما إن كان الاستغفار باللسان فقط، دون تذكر معناه في القلب، أو يستغفر، وهو مصر على المعصية، فقد ذكر كثير من أهل العلم: أنه استغفار غير مقبول، لعدم توفر شرط

(١) آل عمران: ١٣٥.

صحته، بل ذكروا أنه ذنب يحتاج إلى استغفار، كما رُوي: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه".[1]

يقول عبدالله بن سهل الرازي سمعت يحيى بن معاذ يقول: كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم، ثم قال يحيى: هذا استغفر الله وقلبه فاجر، وهذا سكت وقلبه ذاكر. أ.هـ. يقول حذيفه -رضي الله عنه-: "بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عز وجل وبحسبه من الكذب أن يقول: استغفر الله وأتوب إليه ثم يعود".

والتحقيق أن هذا الأمر من شروط قبول الاستغفار، هذا إذا كان الاستغفار بسبب تقصير في واجب، أو

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ٤٧١/١٣: «والراجح أن قوله: «والمستغفر إلى آخره» موقوف وأوله عند ابن ماجة والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده حسن».

وقوع في محرم، فيشترط لصحة الاستغفار عن الذنب: أن يصطحبه المستغفر بقلبه، فيجمع بين الاستغفار باللسان، وتذكر الذنب بالقلب، ليتخلص منه، وليجتث جذوره العالقة في قلبه.

وقد ذكر بعض أهل العلم من ذوي التحقيق: أن من لم يتيسر له استجماع القلب مع اللسان، ولكنه يجاهد نفسه، إلا إن لسانه يغلب على قلبه، فهذا إن انتفى الإصرار، فهو: حسن، بل لا ينهي عنه، بل مطالب من العبد أن يرطب لسانه بالاستغفار على الدوام، لأن الاستغفار عن غفلة خير من الصمت، وهو طريق ووسيلة إلى انتباه القلب، فاللسان إذا ألف ذكرًا يوشك القلب أن يألفه فيوافقه عليه، ولذلك من مكائد الشيطان على

بني الإنسان: منعهم من الاستغفار بسبب غفلة القلب، فليتنبه!!

فالاستغفار على الدوام أمرٌ محمود، وخلةٌ حميدة، لأنه عبادة مستقلة بذاتها، يستغفر على ما عمله من ذنوبه رجاء غفرانها، وما لم يعلمه مما يصدر منه، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يقولوا على الدوام: ﴿اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم﴾[1].

(١) أخرجه أحمد (٤٠٣/٤) والبخاري في الأدب الفرد رقم (٧١٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة بسند صحيح انظر صحيح الترغيب (٣٦).

فصل

من أي شيءٍ يكون الاستغفار

إن الاستغفار - عصمك الله - يكون من ترك الواجبات، ومن الوقوع في المحرمات، لا كما يظن البعض أن الاستغفار يكون من فعل الذنب فقط.

وأنقل هنا كلامًا ماتعًا لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقرر فيه: أن الاستغفار كما أنه واجب على من ترك الواجبات، فيقول:

"التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات وفعل المحرمات، والأول يخفى على كثير من الناس. قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا

(١) غافر: ٥٥.

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2]. وقال: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[3]

ومثل هذا في القرآن كثير.

فنقول: التوبة والاستغفار يكونان من ترك مأمور، ومن فعل محظور، فإن كِلاهما من السيئات والخطايا، والذنوب وترك الإيمان، والتوحيد، والفرائض، التي فرضها الله تعالى، على القلب والبدن من الذنوب.. بلا ريب عند كل أحد، بل هي أعظم الصنفين، فإن جنس

(١) محمد: ١٩.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) هود: ٢ - ٣.

ترك الواجبات أعظم من جنس فعل المحرمات، إذ قد يدخل في ذلك ترك الإيمان والتوحيد، ومن أتى بالإيمان والتوحيد لم يخلد في النار، ولو فعل ما فعل ومن لم يأت بالإيمان والتوحيد كان مخلدًا، ولو كانت ذنوبه من جهة الأفعال قليلة: كالزهاد والعباد من المشركين، وأهل الكتاب كعباد مشركي الهند، وعباد النصارى، وغيرهم؛ فإنهم لا يقتلون، ولا يزنون، ولا يظلمون الناس؛ لكن نفس الإيمان والتوحيد الواجب تركوه.

ولكن يقال: ترك الإيمان والتوحيد الواجب، إنما يكون من الاشتغال بضده، وضده إذا كان كفرًا فهم يعاقبون على الكفر وهو من باب المنهي عنه، وإن كان ضده من جنس المباحات كالاشتغال بأهواء النفس ولذاتها: من الأكل

والشرب، والرئاسة، وغير ذلك، عن الإيمان الواجب، فالعقوبة هنا لأجل الإيمان؛ لا لأجل ترك هذا الجنس، وقد يقال: كُل مَنْ ترك الإيمان والتوحيد، فلا يتركه إلا إلى كفر وشرك؛فإن النفس لابد لها من إله تعبده، فمن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان. فيقال: عبادة الشيطان، جنس عام، وهذا إذا أمره أن يشتغل بما هو مانع له من الإيمان والتوحيد يقال: عبده، كما أن من أطاع الشيطان فقد عبده، ولكن عبادة دون عبادة.

والناس نوعان: طلاب دين، وطلاب دنيا.

فهويأمر طلاب الدين بالشرك والبدعة، كعباد المشركين، وأهل الكتاب، ويأمر طلاب الدنيا بالشهوات البدنية.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف مـا أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم

ومضلات الفتن)[1]؛ ولهذا قال الحسن البصري لما ذكر الحديث: "لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه"[2] في دينه، والفاجر في دنياه..

فإن ترك الواجب، وفعل المحرم متلازمان، ولهذا كان من فعل ما نُهي عنه، يقال: إنه عصى الأمر"[3] ا.هـ.

وأما الاستغفار من المحرمات، فهو: واجب أيضًا، وهو المتبادر عند إطلاق الاستغفار: أنه يكون من فعل المحرمات أكثر من أن تحصى في الكتاب والسنة، من ذلك:

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح. انظر صحيح الترغيب (٢١٤٣).

(٢) رواه الترمذي وابن حبان (٣٤٩) من حديث أبي هريرة ورواه أحمد ١٨٨/٢ و ٢١٠ ، ٢٤٥٣ والطحاوي في المشكل ٨٨/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بسند حسن صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (٦٧٠/١١) وما بعدها.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]

ومن الأشياء المحرمة التي كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يستغفرون الله منها بعض الواردات والفلتات على الفكر والقلب والنفس واللسان، وذكر عن بشر بن الحارث - رحمه الله - أنه حدث فقال: حدثنا حماد بن زيد" ثم قال: استغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء.

(١) النساء: ١١٠.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

والشافعي - رحمه الله - يقول: ما ناظرت أحدًا في الكلام - يعني علم الكلام المذموم - إلا مرة واحدة وأنا استغفر الله من ذلك".

بل بلغوا أبعد من ذلك فلقد كانوا يستغفرون في اللحن في القول والإعراب في القراءة، يقول الخليل بن أحمد لحن أيوب السختياني في حرف فقال: استغفر الله.

وإن مما يجب الاستغفار منه رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة لأنها من الكبائر، فلقد كان الأئمة يأمرون من أسند حديثًا ضعيفًا أن يستغفر الله مما وقع فيه، فكيف بمن يروي الموضوعات، يقول الترمذي سمعت أحمد بن الحسين يقول: كنا عند أحمد فذكروا على من تجب الجمعة فلم يذكر فيه أحمد عن النبي صلى الله عليه

وسلم شيئًا فقلت لأحمد: فيه عن أبي هريرة وأسنده عن النبي صلى الله عليه ووسلم " الجمعة على من آواه الليل إلى أهله". قال: فغضب عليَّ أحمد بن حنبل وقال: استغفر ربك استغفر ربك. قال الترمذي: وإنما فعل به أحمد هذا لأنه لم يعد هذا الحديث شيئًا لحال إسناده.

فصل

صيغ الاستغفار

ورد الاستغفار بصيغ متعددة، سبق ذكر بعض منها على سبيل الإجمال، واستعمال واحد من هذه الصيغ مجزئ في تحقيق الغرض والمقصود، إلا ما جاء النص على صيغتها بأنها خاصة ببعض العبادات، أو في بعض الأوقات، فهذه ينبغي التقيد بألفاظها، ومكان بيانها سأذكره في الحديث عن أنواع الاستغفار المقيد، وهنا أذكر بعض الصيغ الواردة في السنة من ذلك:

(أ) اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر

لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وهذا سيد الاستغفار.

(ب) استغفر الله الذي لا إله إلا هو، وأتوب إليه.

(ج) رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم.

(د) سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه.

(هـ) استغفر الله، استغفر الله.

(و) اللهم اغفر لي.

(ز) غفرانك ، غفرانك.

(ح) استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

(ط) وإذا كان الاستغفار للغير؛ كالوالدين والمؤمنين يقول: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[1] ويقول: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

(١) نوح: ٢٨.

لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، أو (اللهم اغفر لأخي) أو (اللهم اغفر له وارحمه) وهكذا.

وهذا على سبيل الذكر لا الحصر.

وهنا فائدة متعلقة بلفظة، نهى الشارع عن استخدامها حال الذكر والدعاء، لما تشتمل عليه من سوء أدب مع المولى تبارك وتعالى، سبق وأن أشرت إليها، وهي ما رواه أبو هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مستكره له"[2] وقد بوب المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على هذا الحديث بابًا في كتاب التوحيد،

(١) الحشر: ١٠.

(٢)البخاري (٦٣٣٨ و ٧٤٣٤) ومسلم (٢٦٧٩).

لينبه على أن قول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت: دليل على قلة اهتمامه في طلب المغفرة، وأن قوله هذا متضمن استغناءه عن ربه، وعدم اكتراثه بذنبه، وهو مما يتنافى مع التوحيد الواجب، وأرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تعظيم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء، وإلى العزم في المسألة، فإن الله لا مستكره له.

فصل

أنواع الاستغفار

باستقراء النصوص الشرعية يتبين أن الاستغفار على نوعين اثنين:

الأول: استغفار مطلق، ليس له وقت محدد، بل ينبغي رفع العقيرة به في جميع الأوقات والساعات، مثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله، فلقد: "كان يعد عليه في المجلس الواحد مائة مرة قول استغفر الله وأتوب إليه"[1] فيجعله الإنسان ديدنه وهجيراه، يلهج به في الصباح والمساء، وفي الخلوة والجلوة، لأن به تزكو النفس وتطهر، ويحصل له من التعلق بربه الشيء الذي يدفعه إلى فعل الخيرات، في جميع الأوقات والساعات، ويعتاد

(١) سبق تخريجه في ص ٣١.

اللسان أيضًا القول الحسن، ويترقى العبد في مدارج الكمال، بإذن الله تعالى، فالحسنة تقول: أختي .. أختي.

والثاني: استغفار مقيد، وردت نصوص ثابتة فيه، يلزم المسلم التقيد بألفاظها، وإعدادها، وإن ورد دليل خصوص بعددها، وبتتبع النصوص الشرعية أجد أن الاستغفار المقيد يكون في بعض العبادات، والأوقات، والأزمان والأماكن.

فصل

الاستغفار في العبادات

ورد الاستغفار في كثير من أبواب العبادات، وسأذكرها في هذا الفصل حسب ترتيب الفقهاء لأبواب وفصول الكتب الفقهية.

(١) أبواب الطهارة:

(أ) الاستغفار عقب الخروج من الخلاء، فيندب للمسلم أن يستغفر الله تعالى بعد الانتهاء من قضاء الحاجة[1]، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال "غفرانك"[2].

(١) انظر: المغنى (١٦٨/١) الكافي لابن عبدالبر (١٧٢/١) حاشية ابن عابدين (٢٣٠/١) والفواكه الدواني (٤٣٤/٢).

(٢) رواه أحمد ١١٣/٦ - ١١٤ والترمذي (١٩) والنسائي ٤٢/١ - ٤٣ وابن حبان (١٤٤٤) وغيرهم بإسناد صحيح.

ووجه سؤال المغفرة: أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم، ناسب أن يتذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم، كما أعانه بتخفيف أذية الجسم، وقيل في مناسبة الاستغفار في هذه الحال: إظهار العجز عن شكر النعمة في تيسير الغذاء، وإيصال منفعته، وإخراج فضلته، وإبقاء قوته في جسد العبد، والله أعلم[1].

(٢) الاستغفار بعد الوضوء[2]: فيسن للمسلم أن يستغفر الله عند إتمام الوضوء، لما روى أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك، طبع بطابع ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة"[3].

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٧٣/٤.
(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (٨٧/١) ومدارج السالكين (١٧٦/١).
(٣) أخرجه النسائي رقم (٨٣) في عمل اليوم والليلة بسند صحيح. وانظر

(ب) في أبواب الصلاة

ورد الاستغفار في أحوال ومواطن كثيرة في الصلاة من ذلك:

(١) الاستغفار عند الدخول والخروج من المسجد: فقد استحب كثير من أهل العلم[1] للمسلم أن يستغفر الله عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، كما هو الوارد في حديث فاطمة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: "اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: "اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك"[2].

صحيح الترغيب (٢٢٥).

(١) انظر: كشاف القناع (٣٠١/١) منح الجليل (٦٥/١) شرح ميارة الصغير (١٣٧/٢) مراقي الفلاح (ص٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٣/٦ وابن ماجه (٧٧١) بألفاظ متقاربة. وصححه العلامة الألباني في تخريجه لكتاب «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه

(٢) الاستغفار في أول الصلاة وآخرها وأثنائها[1]:

فيسن للمصلي أن يستغفر الله تعالى في أول الصلاة، وفي آخرها، وفي أثنائها، ففي أول الصلاة: جاء الاستغفار في بعض الروايات التي وردت في دعاء الافتتاح منها:

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في استفتاحه: "اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير

وسلم» للإمام إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ص٧٢) وقال: (صحيح لشواهده)، وأوردها.

(١) انظر المسألة في: المغني (٤٧٤/١) والمجموع للنووي (٦١٣/٣) والكلم الطيب لابن القيم ص٢٢٠. والكافي لابن عبدالبر(٢٠٦/١).

كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك"[1].

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "الله أكبر عشر مرات، ثم يسبح عشر مرات، ثم يحمد عشر مرات، ثم يهلل عشراً، ثم يستغفر عشراً، ثم يقول: اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني عشراً، ثم يقول: اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشراً"[2].

والذي يظهر: أن هذا النوع من الدعاء، كان يقوله صلى الله عليه وسلم في افتتاح قيام الليل؛ كما ذكر ذلك ابن

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣/٦) وأبو داود (٧٦٦) والطبراني في «الأوسط». رقم (٨٤٢٧).

القيم وغيره[1].

وأما في أثنائها، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله في ركوعه وسجوده، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن[2] أي: يحقق قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[3].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله يقول في ركوعه وسجوده: "اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وأخره، وعلانيته وسره"[4].

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢٠٣/١.
(٢) أخرجه البخاري (٧١٧) ومسلم (٤٨٤).
(٣) النصر: ٤.
(٤) أخرجه مسلم (٤٨٣).

وفي الجلوس بين السجدتين يشرع الاستغفار، بل أوجبه بعض أهل العلم، وهو: الصحيح، لحديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يقول بين السجدتين: "رب اغفر لي، رب اغفر لي"[1].

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: "اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني"[2].

ويسن الاستغفار قبل السلام من الصلاة في آخر التحيات؛ لما جاء عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(١) أخرجه النسائي (٢٣١/٢) وابن ماجه (٨٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٤) وأبو داود (٨٥٠) وابن ماجه (٨٩٨). وانظر المسألة في: المغني لابن قدامة ٥٠٣/١.

"اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال "قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم"[2].

ويسن الاستغفار عقب الصلاة ثلاثاً، لما روى ثوبان -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته قال: "استغفر الله ثلاثاً" وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩).
(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤ و ٦٣٢٦) ومسلم (٢٧٠٥).

والإكرام" قيل للأوزاعي، وهو أحد رواة الحديث، كيف الاستغفار؟ قال يقول: "أستغفر الله، أستغفر الله"[1]

(٣) ويندب الاستغفار في صلاة الاستسقاء، لقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[2] فدلت الآية على أن الاستغفار وسيلة للسقيا، بدليل قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ولم تزد الآية على الاستغفار، وقد فهم هذا المعنى الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد ورد عن عمر أنه خرج إلى الاستسقاء، وصعد المنبر، واستغفر الله، ولم يزد عليه؛ فقالوا: ما استسقيت يا أمير المؤمنين؛ فقال: لقد استسقيت ربي بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث[3].

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) نوح: ١٠.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٨/١١) وانظر المسألة في: المغني مع

(٤) ويسن الاستغفار في صلاة الجنازة؛ فقد ورد الاستغفار في صلاة الجنازة للميت في أحاديث منها: عن عبدالرحمن بن عوف بن مالك قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعواته، وهو يقول: "اللهم اغفر له وارحمه..."[1].

(٥) الاستغفار في بداية الخطب الدينية وغيرها:

وهي: المسماة: بخطبة الحاجة، فيستحب للمسلم أن يستفتح خطبه وحديثه بهذه الخطبة، والمشتملة على الحمد والتعظيم لذي الأسماء الحسنى والصفات العلى، واستغفاره، والتعوذ به من الشرور، وسؤاله الهداية، والشهادة له بالتوحيد ولنبيه بالرسالة، وصفتها: "إن

الشرح الكبير (٢٩١/٢)، والمجموع للنووي (٩١/٥).

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣). وانظر المسألة في: المغني مع الشرح الكبير ٣٨٥/٢، والمجموع للنووي ٢٩٤/٥.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.."[1].

(ح) في باب الصيام

يستحب للصائم: الاستغفار على الدوام، وفي جميع الأوقات؛ لعمومات الأدلة، ويتأكد عند نهاية صومه، فإذا أراد الإفطار استحب له أن يستغفر الله تعالى؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن للصائم عند فطره لدعوةً ما ترد" قال: ابن أبي مليكة:

(١) أخرجه أحمد (٣٥٠/١) وابن ماجه (١٨٩٢) وغيرهما، من حديث عبدالله بن مسعود، رضي الله عنه.

سمعت عبدالله بن عمرو إذا أفطر يقول: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي"[1].

(د) في باب الحج:

يسن الاستغفار للحاج على الدوام، وفي جميع الأوقات، وسائر الأماكن: كمنى، وعرفات، ومزدلفة؛ لعمومات الأدلة، ويتأكد في ختام أعمال الحج؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

ونلحظ أن غالب العبادات يشرع الاستغفار في أولها وفي آخرها، والحكمة من ذلك، والله أعلم:

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) وابن السني (٤٨٢).
(٢) البقرة: ١٩٩.

- أن العبد لا بد أن يحصل منه نوع تقصير وشرود، فمهما اجتهد، فلن يبلغ الكمال في أداء العبادة، فيأتي الاستغفار ليرقَع الخرق، وليجبر الكسر، وليكمل النقص، فعلى هذا تتم الطاعة، وتكتمل القربة.
- أن العبد عندما يستغفر في أول العبادات وعقبها، إنما يشعر نفسه على الدوام بالتقصير في معاملته مع ربه، وهذا الأمر يورث العبد السعي للحصول على مرضاة الله، والترقي في مدارج الكمال.
- أن أهم شيء يجب أن ينتبه له العبد هو الحذر من مداخل الشيطان، فقد يؤدي العبد عبادة معينة، فيأتيه الشيطان فينفخ في جيبه بالأوهام، ويفتح عليه أبواباً من الغرور، والرياء، والاستعلاء الذي

قد يهلكه، فيأتي الاستغفار الذي به يشعر العبد استصغار نفسه، واستقلال عمله، وأنه ضعيف فقير محتاج بجوار الغني العظيم القوي، فيبدد كل ما ينسجه الشيطان مما فيه هلاك المسلم وترديه، فلله الحمد على نعمه الكثيرة.

فصل

الاستغفار للغير

الاستغفار عبادة مشروعة، ومن أحكامها جواز استغفار الأعلى للأدنى، والأدنى للأعلى، والحي للميت، والشريف للوضيع، والوضيع للشريف، وهكذا، والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار له أولاً، وللمؤمنين والمؤمنات ثانياً.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا

(١) محمد: ١٩.

رَحِيمًا﴾[1].

ومن ذلك الاستغفار للأموات، فالاستغفار: عبادة قولية يصح فعلها للحي والميت.

أما الأحياء، فقد جاءت نصوص كثيرة، غير ما سبق، تدل على مشروعية الاستغفار من الناس لبعضهم البعض، وأن يطلبوا ذلك فيما بينهم، سواء كان بسبب أو بغير سبب، من ذلك: يقول تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾[4]

(١) النساء: ٦٤.
(٢) آل عمران: ١٥٩.
(٣) الفتح: ١١.
(٤) النور: ٦٢.

وقال تعالى: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[2]، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[3] وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[4]، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى أن يحرص على مقابلة رجل من أهل اليمن، اسمه: أويس بن عامر القرني، وأن يطلب منه أن يستغفر له فقال: "... له والدة بها بَرٌّ لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل".. فأتى أويساً فقال: "

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) المنافقون: ٥.

(٣) غافر: ٧.

(٤) الشورى: ٥.

استغفر لي ... فاستغفر له"[1] وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم، المسلم إذا أكل من طعام أخيه أن يستغفر ويدعو له؛ فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: "نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي، قال: فقربنا إليه طعاماً ورطبة فأكل منها... فقال: أبي، وأخذ بلجام دابته: أدعو الله لنا، فقال: "اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم"[2] وعن محمد بن سيرين -رحمه الله- قال: كنا عند أبي هريرة -رضي الله عنه- ليلة، فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي، ولمن استغفر لهما، قال محمد بن سيرين: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة[3]، قال بكر بن عبدالله

(١) أخرجه مسلم من حديث أسير بن جابر (٢٥٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» قال الألباني (صحيح الإسناد) (٣٧).

-رحمه الله-: "لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين، يقول استغفروا لي، لكان نوله أن يفعل" أهـ قال ابن رجب: "من كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاتت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم الله؛ فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه". كما قال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾[1].

وأما الأموات، فقد ثبت في السنة: مشروعية الاستغفار لهم في حالات، منها:

عن أم سلمة، رضي الله عنها قالت: ... فلما مات أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن أبا سلمة قد مات، قال: "قولي اللهم اغفر لي وله"[2].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤١٦/٢.
(٢) أخرجه مسلم (٩١٩).

وفي صلاة الجنازة، ورد الاستغفار للميت في أحاديث كثيرة منها:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم على جنازة، فحفظت من دعائه، وهو يقول: "اللهم اغفر له وارحمه.."[1]

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فقال: "اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا..."[2]

وعن واثلة بن الأسقع، رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين، فسمعته يقول: ".. اللهم فاغفر له، وارحمه،. إنك أنت الغفور الرحيم"[3].

(١) أخرجه مسلم (٩٦٣).
(٢) رواه الترمذي (١٠٢٤) وأبو داود (٣٢٠١) وابن حبان (٣٠٧٠).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٠٢) وابن ماجه (١٤٩٩) وأحمد (٤٩١/٣).

ويندب عقب دفن الميت المسلم أن يقف جماعة يستغفرون الله له، فعن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"[1].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: "ترفع للميت بعد موته درجته؛ فيقول، أي رب، أي شيء هذه؟ فيقال: ولدك استغفر لك"[2].

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١) والبيهقي (٥٦/٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦) في «الأدب المفرد» بسند حسن.

فصل

الاستغفار في بعض الأزمان والأوقات والأماكن

ورد الاستغفار في بعض الأزمان وفي بعض الأوقات وفي بعض الأماكن لحكم ظاهرة من ذلك:

(١) الاستغفار عند الفتح والنصر: يشرع للمسلمين إذا فتح الله عليهم بلدة، أو استردوا ديارهم، أو نصرهم الله تعالى على عدوهم، أن يكثروا من التسبيح والاستغفار، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1].

(١) سورة النصر.

(٢) الاستغفار في أول الليل وآخره: ويندب للمسلم أن يستغفر الله تعالى في أول الليل، وأخره، فقد رُوي عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب: "اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، فاغفر لي"[1].

وعند النوم يشرع للمسلم أن يستغفر الله تعالى؛ ليكون خاتمة عمله، إذا رفعت روحه إلى بارئها، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال حين يأوي إلى فراشه: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، ثلاث

(١) أخرجه أبو داود (٥٣٠) والترمذي (٣٥٨٣)، وقال: حديث غريب. وفي سنده أبو كثير مولى أم سلمة، قال الألباني «ضعيف» (٣٥٨٩).

مرات، غفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر"[1].

ويندب للعبد أن يستغفر الله تعالى في الثلث الأخير من الليل، الذي هو من أفضل الأوقات، التي يناجي فيها العبد ربه وآكدها؛ لقوله تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ وقوله ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ قال بعض أهل العلم: أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له"[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٩٤) وحسنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، أخرجه مسلم (٧٥٨).

وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته"[1].

(٣) الاستغفار في نهاية المجلس: يشرع الاستغفار في نهاية المجلس، ويكون كفارة لما يقع في المجلس من لغط، وإثم، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك

(١) أخرجه البخاري (١١٥٤).

اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك"[1].

(٤) الاستغفار في آخر العمر: ويشرع للإنسان أن يكثر من الاستغفار في نهاية عمره، وعند قرب أجله؛ لأن المرء، وهو يودع الدنيا ينبغي أن يخرج منها لملاقاة ربه، وهو طاهر الثوب، قليل العيب، خفيف المحمل، كثير الخير، وليس في عنقه مظلمة لأحد، وقد علمنا أن جنس الإنسان خطاء، ظلوم، جهول، فاحتاج والحالة هذه أن يكثر من الاستغفار لمن بيده مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

ويدلنا على مشروعية الاستغفار في نهاية العمر ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان عمر -رضي الله عنه- يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

نفسه، فقالوا: لِمَ يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاني ذات يوم، فأدخلني، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً؛ فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال: "إذا جاء نصر الله والفتح" وذلك علامة أجلك "فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً" قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[1].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما صلى رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٠).

صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت عليه: "إذا جاء نصر الله والفتح" إلا أن يقول فيها: "سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"[1].

وعن عائشة، رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند ظهره يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى"[2].

وقد يخطر سؤال في ذهن القارئ الكريم، وهو هل يعلم أحد قرب دنو أجله؟ والجواب: بالطبع لا أحد، فإن نهاية الآجال مما اختص الله نفسه بعلمها، فلم يُطْلِعْ عليها ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولكن جعل الله تعالى

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧) ومسلم (٤٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٠).

علامات يعرف بها المرء قرب دنو أجله منها:

(١) بلوغ الإنسان سن الستين أو السبعين؛ فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعذر الله إلى امريء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة"[1].

قال العلماء: معناه: لم يترك له عذراً، إذ أمهله هذه المدة.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين"[2].

(٢) ظهور الشيب في رأس الكبير، فهي علامة من علامات قرب دنو الأجل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي (٤٢٣٦) والترمذي (٣٥٥٠ و ٢٣٣١) والحاكم (٤٢٧/٢).

يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[1]. قال جمع من السلف النذير هنا: الشيب.

(٣) وقوع المرء في مرض عضال، عافنا الله وجميع المسلمين، فالميؤس يستحب في حقه فعل أشياء كثيرة، كتأكد كتابة الوصية، ووجوب رد الحقوق إلى أهلها، وكثرة الاستغفار، وغيرها.

(٤) كثرة موت الفجأة؛ ولا أدل على هذا الأمر من زماننا هذا الذي انتشر فيه موت البغتة، والذي لا يمهل الإنسان، خاصة مع انتشار وسائل حديثة للتنقل، وما يحصل بسببها من حوادث مفجعة، تأتي على الإنسان كلمح البصر، ربما لا تمهله النطق بالشهادتين، فينبغي والحالة هذه، على الكيس الفطن: أن يكون مستعداً، على

(١) فاطر: ٣٧.

الدوام، للقاء ربه، وأن يكون لسانه رطباً من ذكره، وأن يكثر من الاستغفار.

أؤمل أن أحيا وفي كل مرة

تمر بي الموتى تهز نعوشها

وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي

بقايا ليالٍ في الزمان أعيشها

فصل

الاستغفار بعد الذنوب

يجب على العبد أن يبادر إلى التوبة والاستغفار، عقب الذنب، ولا يجوز له تأخير التوبة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2].

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) النساء: ١١٠.

الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.."[1]

قال ابن القيم: "إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي: توبته من تأخير التوبة، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب، لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه، ومما لا يعلم؛ فإن مالا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكناً من العلم، فإنه عاص

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال حديث حسن.

بترك العلم والعمل؛ فالمعصية في حقه أشد، وفي صحيح ابن حبان: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل"، فقال أبو بكر: فكيف الخلاص منه يا رسول الله؟ قال: "أن تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم"، فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه ذنب، ولا يعمله العبد، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: أنه كان يدعو في صلاته: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت، إلهي لا إله إلا أنت".. وفي

الحديث الآخر: "اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، خطأه وعمده، سره وعلانيته، أوله وآخره" فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه"[1].

يقول ميمون بن مهران سأل رجل ابن عباس فقال: قبلت أمرأة لا تحل لي. قال زنى فوك. قال: فما علي في ذلك؟ قال: استغفر الله.

(١) مدارج السالكين (٢٩٧/١ - ٢٩٨).

فصل

ثمرات الاستغفار وآثاره

وهذا الأمر هو غاية ما يسعى إليه العبد، ونهاية ما يأمله من استغفاره، فالاستغفار له ثمرات عظيمة، ونتائج طيبة، وآثار حميدة، وعوائد كثيرة، في الدنيا والآخرة، منها ما ندركه مما أخبرنا به خالقنا ومولانا، ومنها مالا ندركه مما يدخره ربنا عز وجل للمستغفرين يوم القيامة:

(١) تكفير الذنوب والخطايا: فالاستغفار يحرق الذنوب والمعاصي كما تحرق النار الحطب، والمقصود الاستغفار الذي بمعنى التوبة؛ فإنه أرجى أن يكفر به الذنوب، إن توفرت فيه شروط التوبة، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ

سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: ﴿يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم﴾[2].

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.."[3].

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال: أستغفر الله الذي لا إله

(١) النساء: ١١٠.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).
(٣) سبق تخريجه في ص .

إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفرت ذنوبه، وإن كان قد فر من الزحف"[1].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه قال: "أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي،، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، أعمل ما شئت فقد غفرت

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٢) كلاهما من حديث زيد مولى رسول الله وهو عند الحاكم (٥١١/١) من حديث ابن مسعود!! وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم قال الذهبي: أبو سنان هو ضرار بن مرة لم يخرج له البخاري!!

لك"[1]. أي: ما دمت تائباً راجعاً منيباً مستغفراً.[2]

(٢) الأمان من العذاب العام والخاص: فبالاستغفار يرفع الله العذاب عن الأمة: أفرادها وجماعاتها، الذي سببه الذنوب والمعاصي، فإذا استغفروا، أمنوا بإذن الله -جل وعلا- يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]. قال ابن عباس رضي الله عنه: كان لنا أمانان ذهب أحدهما، وبقي الآخر.[4] يقصد بالأمان الأول: رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وبالثاني: الاستغفار.

(٣) المتاع الحسن: فالله تعالى يوفق المستغفر إلى حياة

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) ومسلم (٢٧٥٨).
(٢) انظر الفوائد لابن القيم ص ٦٢-٦٣. وفتح الباري لابن حجر (٤٧٢/١٣).
(٣) الأنفال: ٣٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩١/٥ و٩٠١٧) والطبري (١٦٠٤).

طيبة نظيفة، يشيع فيها الأمن، والأمان، والطمأنينة، والاستقرار، وراحة البال، وسكون القلب، والخير العميم، يقول تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه﴾[1]، خاصة: وأن في الاستغفار: اعتراف من العبد للرب بوقوعه في الذنب، أو التقصير، والاعتراف بالخطيئة، والذنب، هو: صفة الأنبياء والمرسلين، وقد مر معنا شيء من هذا مما أخبر الله عنهم في كتابه، وأيضًا هي صفة عباد الله المتقين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

(١) هود: ٣.

يَعْلَمُونَ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[2] وإنما كان سيد الاستغفار، الذي مَرَّ معنا، سيدًا لتضمنه الإقرار بالذنب من العبد والاعتراف بالخطيئة مع علمه الجازم بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وهي مرتبة عظيمة، وخلة سامية، وقد مر معنا شيء من النصوص في هذا الأمر.

ولو ضربنا مثالاً لما يحسه الناس ويشاهدونه ويعايشونه، وإن المخالف للقانون والنظام متى ما أخفى مخالفته، وإن كان يجزم بأن أحدًا لم يطلع عليها، فهو مهما عاش، فإنه يبقى في شغل شاغل، وقلق ساهر، وحرج في الصدر دائم، فإذا اعترف شعر بحمل ثقيل يلقيه عن كاهله،

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) آل عمران: ١٦ ، ١٧.

ويزيحه عن رقبته، فكذلك العبد مع ربه سبحانه الغفار للذنوب، والذي يعلم السر وأخفى، فاعترافه بذنبه عن طريق الاستغفار، مع علمه بأن الله وعد على الاستغفار: محو الذنوب، وتكفير السيئات، بل وتبديلها إلى حسنات يزيح عنه همًا طالما أسهره، وضيقًا طالما أثقله، وينقله إلى حياة الطمأنينة والراحة.

(٤) الاستغفار سبب لنزول المطر: فمن أسباب نزول الأمطار: كثرة الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[3] وقد ذكرت ما عليه حال السلف من كثرة الاستغفار، رجاء نزول المطر.

(٥) الاستغفار سبب في إمداد العبد بالأموال والأولاد: قال تعالى: ﴿.... وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ والمدد هنا

(٣) نوح: ١٠، ١١.

نوعان: إما أن يكون ايجاد بعد عدم، أو قوة وبركة بعد ضعف، جاء في الأثر عن الحسن البصري، رحمه الله: أن رجلاً شكى إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر: فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ ...الآية.

(٦) الاستغفار سبب في زيادة القوة: فالاستغفار يعطي القلب والبدن قوة عجيبة يتحملان ببركته الشدائد، قال تعالى على لسان هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1]. ولقد كان السلف يستعينون بالاستغفار على تجاوز لمفاوز، والمشاكل، فيمنحهم الله

(١) هود:٥٢.

بهذا الاستغفار قوة يتجاوزون بها كل نقاط الضعف التي يقف عندها الغافلون عن الاستغفار.

(٧) الاستغفار سبب في تيسير الطاعات وتعسير المعاصي:

فكما أن السيئة تقول: أختي .. أختي؛ كذلك الحسنة تقول: أختي .. أختي فالذي يلهج لسانه بالاستغفار، لا ريب أنه يقوده إلى ما هو مثله من الأذكار، أو غيرها من العبادات، وكلما صاحب المرء استغفاره بتذكر ذنوبه، كلما قاده إلى إحسان العمل، بإذن الله تعالى.

(٨) إغاظة الشيطان: في الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى: ﴿وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما

استغفروني﴾[1].

وجاء عن بعض السلف قوله: إن أحدكم لعله "يضني" شيطانه كما يضني أحدكم بعيره[2].

(٩) تفريج الهموم والغموم وحصول الرزق: فبالاستغفار تنزاح الهموم، وتزول الغموم - بإذن الله - ويوفق العبد للرزق من حيث لا يحتسب؛ فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب"[3].

---

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٢٦١) والبيهقي في الأسماء ص (١٣٤) انظر السلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٢) ذكره ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» ٢٩٥/١.

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٢٤٨) وأبو داود (١٥١٨) والحاكم (٤/ ٢٦٢) وقال صحيح الإسناد، قلت وفي سنده مقال وكذا رواه ابن السني (٥٣٨). والبيهقي (٣٥١/٣) وابن ماجه (٣٨١٩) وغيرهم وإسناده ضعيف انظر الضعيفة (٧٠٥).

(١٠) في الاستغفار أمان من النار وسبب في دخول الجنة بإذن الله تعالى.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفرلي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقن بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"[1].

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣). قال الطيبي: «لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة استعير له اسم (السيد) وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور أ.هـ فتح الباري ١٤ / ١٥٤ - ١٥٥. قلت وجاء

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما.، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار"[1] فإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم لهن بالتصدق والاستغفار لغرض نجاتهم من النار، وأن بالاستغفار ينجو العبد من المهالك في الدنيا والآخرة.

فعن الزبير بن العوام، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار"[2].

في رواية الترمذي: (ألا أدلك على سيد الاستغفار) وفي حديث جاء عند النسائي: (تعلموا سيد الاستغفار).

(١) أخرجه مسلم (٧٩).

(٢) أخرجه الضياء في المختارة (٢٩٧/١) والطبراني في الأوسط رقم (٨٣٩) والبيهقي في الشعب (٣٦٤/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب (١٦١٩) وكذا الألباني في الصحيحة (٢٢٩٩).

وقال عبد الله بن عمر بن عبدالعزيز: رأيت أبي في النوم بعد موته، كأنه في حديقة، فدفع إلى تفاحات فأولتهن! الولد؛ فقلت: أي الأعمال وجد أفضل؟ فقال: (الاستغفار) أي: بني[1].

(١١) أن المستغفرين أخف الناس أوزارًا: فعن عبد الله بن بسر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا"[2].

قال حسان بن عطية: "إن العبد إذا عمل سيئة وقف الملك فلم يكتبها ثلاث ساعات فإن لم يستغفر كتبت وإن استغفر لم تكتب".

(١) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان ١ / ٢٢.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٨١٨) قال المنذري في الترغيب (١٦١٦) «بإسناد صحيح» وكذا قال الألباني.

قال بكر بن عبد الله: إن أكثر الناس ذنوبًا أقلهم استغفارًا، وأكثرهم استغفارًا أقلهم ذنوبًا".

وقيل لبعض السلف: كيف أنت في دينك؟ قال أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار.

يقول ابن القيم: سألت شيخ الإسلام ابن تيمية فقلت: يسأل بعض الناس: إيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: "إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء أنفع له"[1].

وفوائد الاستغفار وعوائده كثيرة جدًا.

أسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان والحمد لله رب العالمين.

(١) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب ص : ١٢٤.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٣
تعريف الاستغفار	١٠
أنواع الاستغفار	١٨
حاجة العبد إلي الاستغفار	٢١
فضل الاستغفار	٢٦
ما هو الاستغفار المطلوب	٤٢
من أي شئ يكون الاستغفار	٥٦
أنواع الاستغفار	٦٠
الاستغفار في العبادات	٦٢
الاستغفار للغير	٧٦
الاستغفار في بعض الأزمان والأوقات والأماكن	٨٣
علامات يعرف بها العبد قبل دنو أجله	٩٠
الاستغفار بعد الذنوب	٩٣
ثمرات الاستغفار وآثاره	٩٧

استراتيجيتنا

- **الرؤية**

التوسع الشامل في تقديم الأعمال الخيرية والإنسانية والثقافية.

- **الرسالة**

نعمل مع أهل العطاء على تقديم المساعدات للمحتاجين وبث روح الإخاء والتكافل الاجتماعي المستمد من المبادئ الإسلامية والقيم الإنسانية والرؤية الوطنية لدولة الإمارات.

- **القيـــم**

١ - الاتصال الفعال.
٢ - العدل والمساواة.
٣ - التميز.
٤ - روح الفريق.

- **الأهداف الاستراتيجية**

١ - نشر الوعي بسماحة الدين الإسلامي.
٢ - تحفيظ القرآن الكريم تلاوة وتجويداً.
٣ - تحسين المستوى المعيشي للمحتاجين وذوي الدخل المحدود.
٤ - ترسيخ الثقافة الإسلامية في المجتمع.
٥ - تنمية الموارد المالية للجمعية .
٦ - تجسيد ثقافة التميز في كافة العمليات .

جمعية دار البر
Dar Al Ber Society
United Arab Emirates الإمارات العربية المتحدة

هاتف المركز الرئيسي دبي: 5000 318 (04)
هاتف فرع عجمـــــــان: 0404 747 (06)
هاتف فرع رأس الخيمـــة: 4071 236 (07)

www.daralber.ae
04 - 3185000
daralber@emirates.net.ae
fax 04 - 3306336

DBI 2004011

Daralber

daralbersocietyuae

DarAlBerSociety

21C9A875

الآن يمكنكم التبرع إلكترونياً عبر موقعنا

www.daralber.ae